ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الزمن في شعر الشاب الظريف

Time in The Poetry of Al-Shabb Al-Zarif

م.م حوراء خالد شاكر ، جامعة النهرين ، العراق،

howraa.a.23@nahrainuniv.edu.iq

تاريخ استلام البحث: 24 / 5 / 2025 تاريخ قبول البحث: 19 / 7 / 2025

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد وتتبّع ظاهرة الزمن في شعر الشاب الظريف، من خلال دراسة مفهوم الزمن في شعره كاشفةً عن مدى تأثره به، حيث سعت الدراسة بشكل خاص إلى معرفة البعد النفسي الذاتي وعلاقته بالزمن، وكيف عكست هذه العلاقة القلق الذاتي والتوتر الزمني ومعاناة الشاعر، فضلاً عن تحليل المفردات الزمنية في شعره وتجليها في رموز وجدانية معبرة عن حالات القلق والحزن لديه من خلال ارتباطها بعنصر الزمان، فهذا المزيج بين تجارب الشاعر وواقعه الخارجي نابع عن وعي دقيق للشاعر مكنه من تقديم رؤية شعرية مميزة للزمن استمدت ملامحها من معانته الذاتية والبيئة التي عاش في ظلّها.

الكلمات المفتاحية: الزمن، الشاب الظريف، تطبيق

Abstract:

This study aims to investigate and trace the phenomenon of time in the poetry of Al-Shabb Al-Zarif by examining the concept of time as reflected in his poetic works, and by revealing the extent to which his expression is influenced by it. The research specifically focuses on the psychological and subjective dimensions of time, and how this connection reflects the poet's inner anxiety, temporal tension, and emotional suffering. In addition, the study analyzes the temporal vocabulary employed in his poetry, highlighting how these expressions evolve into emotional and symbolic representations of anxiety and sorrow, deeply linked to the theme of time. This fusion between the poet's personal experiences and the external reality around him stems from a deep and conscious artistic awareness, through which he constructs a distinctive poetic vision of time—one shaped by his inner struggles and the environment in which he lived.

Key words :time , Al-Shabb Al-Zarif , application

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد، فقد مثّل الزمن ركيزة اساسية في الشعر العربي عامة وفي شعر الشاب الظريف خاصة، حيث اعتبر اداة تعبيرية عن المشاعر والانفعالات والمواقف النفسية التي يمر بها الشاعر، فهو كالمرآة يعكس من خلالها التحولات الذاتية النفسية بما يعتريها من توتر وقلق وحنين وغيرها ، وبيان مقدار الزمن عنده يأتي من خلال تأثره بالبيئة الاجتماعية او المواقف الانسانية ، فقد جاء البحث مشتملاً على ملخص وتمهيد وثلاثة محاور وقائمة بالمصادر والمراجع، حيث جاء المحور الأول بعنوان توطئة تعريفية بالشاب الظريف نعطي من خلاله تعريفاً للشاعر، حياته، عصره ،شعره، أما المحور الثاني فقد جاء بعنوان مفهوم الزمن عند الشاعر نبرز من خلاله معنى الزمن لغوياً واصلاحياً وعند الشاعر بالخصوص، أما المحور الثالث قد جاء بعنوان تجليات الزمن ومفرداته في شعر الشاب الظريف وهو تطبيق الزمن في شعره من خلال تجليه بالمفردات والالفاظ الدالة بالزمن.

المحور الأول: توطئة تعريفية بالشاب الظريف

هو شمس الدين محمد بن سُليمان بن علي بن الشيخ العفيف التلمساني الكاتب والأديب المعروف ولد بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ، ونشأ في بيت علمٍ وأدب، حيث ساعدت مكانة والده التلمساني الذي كان قاضياً وفقيهاً معروفاً من صقل علمه ومعرفته بالأدب والشعر حتى غدا اسمه يضرب به المثل بالرقة والظرافة (١)

أما عند الحديث عن سبب شهرته بلقب (الشاب الظريف) فإن اغلب المصادر تعيدهُ إلى أنهُ كان ظريفاً، لعّاباً، معاشراً (٢) أو أنه كان شاباً فاضلاً ظريفاً (٣) وكان فيه لعبٌ وعشرة وانخلاع ومجون (٤) حيث لازم هذا اللقب شاعرنا حيث أصبح لا يُعرف إلا به.

أما بالحديث عن شعره فقد كان شعرهُ في غاية الحسن والجودة (٥) حيث تميز بالرقة والعذوبة فهو شاعر رقيق خفيف الروح ناصع الديباجة (٦) حيث تناول في شعره أغراضاً شعرية مختلفة من المديح وغير

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المديح إلا أنه اشتهر بالغزل مصوراً فيه المشاعر والعواطف والأهواء بلغة عذبة رقيقة وسهلة تلذ به الآذان والافئدة (٧) وقد غلب في شعره أيضاً التشبيه البسيط واللغة السهلة التي يرسم من خلاله الطابع الإنساني والانفعال الشخصي حتى شكّل شعرهُ نافذة لفهم الحياة التي طالما مازجها بالقضايا الاجتماعية المتنوعة التي تعكس روحه والعصر الذي كان يعيشه، فهو شاعر من شعراء العصر المملوكي فهو عصر الفتن والعصبية والخلافات السياسية، والذي تميز بالظلم والاضطهاد بسبب جور الحكام والتقلبات السياسية والاقتصادية والحروب، فبالرغم من كونها فترة عصيبة إلا أن الأدب ازدهر في تلك الحقبة وبرز فيه الأدباء والشعراء حتى عدَّ الشاب الظريف من أشهر شعراء تلك الفترة (٨) فقد استطاع الشاعر من نقل تجربته الشعرية بروح العصر الذي عاش به من حيث تأملاته الفكرية والانفعالات الشخصية فقد مثّل نموذجاً للشاعر الانسان في زمن كانت فيه التقلبات السياسية سبباً في ميل الأدب نحو تصوير المعاناة والتجارب الذاتية والمشاعر الصادقة.

أما بالحديث عن ديوانه فقد أصبح ديوان شعره مشهوراً بين أيدي الناس، فهي مجموعة قصائد من شعر الشاب الظريف جمعت وتناقلها المهتمون بالعصر المملوكي وتظهر هذه القصائد مواضيع الغزل والتأمل في الحياة والشكوى فضلاً عن البراعة في الوصف الذي طغى عليه وصف الطبيعة ومحاولة ربطه بالغزل، فضلاً عن نقل التجارب الشخصية التي تعكس الحياة النفسية التي يعيشها فضلاً عن التجارب الاجتماعية التي يكشف من خلالها الشكوى من الزمن المضطرب.

اما عن وفاته فقد وافاه الأجل وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره وذلك سنة ٦٨٨هـ ودفن في مقابر الصوفية، حيث كانت فاجعة وفاته على والده عفيف الدين التلمساني الذي أخذ يرثيه قائلاً:

يا ليتني لم أكن أباً لك أو يا ليت ما كنت أنت لي ولدُ

لو أن عينيّ منك ما رأتا ما رأتا ما دهاهما الرمَدُ

لولا احتمالِيكَ باليدين إلى صدري لم ترتعش عليك يدُ (٩)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فبالرغم من عمره كان قصيراً، إلا أن أثره الأدبي بقي حياً ما زال يقرأ ويدرّس عبر الاجيال حتى عدّ ديوانه مميزاً في أدب العصر المملوكي.

المحور الثاني: مفهوم الزمن في شعر الشاب الظريف

لقد شغلت قضية الزمن قدراً واسع الاهمية في الدراسات؛ وذلك لأهميتها وارتباطها المباشر بحياة الانسان وتكوين تجاربه في كل مرحلة يمر بها، فقد ارتبط الزمن بالإنسان منذ الأزل مما جعل وجوده في الشعر من الثيمات الأساسية من خلال دراسة أبعاد الزمن عند الشعراء تحت إطار وجداني ووجودي وفلسفي لتعكس هذهِ الدراسة رؤية الشاعر للحياة والحب والفناء الذي يأتي ضمن سياق أدبي يعبر عن إحساس الشاعر ووجوده تجاه اللحظات والأيام التي يعيشها تحت تجربة شعرية مميزة تولد حضور مستمر للأفكار والمشاعر والخلجات المتعلقة بالشاعر تجاه موقف من المواقف، وهذا ما نتطلع إلى دراسته في شعر الشاب الظريف وبيان تأثره بالزمن وكيف عبر عنه.

فلا بدَّ لنا كبداية من معرفة ماهية المفهوم (الزمن) لغوياً من خلال الاطلاع عليه في المعاجم، حيث أورد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) الزمن من الزمان، والزَّمِنُ: ذو الزّمانة، والفعل: زَمِنَ يَزْمَنُ زَمَناً وزَمانةً، والجميع: الزَّمنى في الذكر والانثى، وأزمَن الشيء: طال عليه الزّمان (١٠)

أما عند ابن دريد (ت٣٢١هـ) فالزمن والزَّمان معروف، والجمع أزمنة وأزْمُن، وأزمن الشيء، إذا أتى عليه الزمان، فهو مُزمن، والزَّمن في معنى الزَّمان، ويقول الرجل للرجل: لقيتُك ذات الزُّمَين، يريد بذلك تراخي المدّة (١١) أما عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) فالزمن يدل على وقت من الوقت من ذلك الزَّمان وهو الحين، قليله وكثيره، يقال زمانٌ وزَمَن والجمع أزمانٌ وأزمنة ويقولون: "لقيته ذات الزُّمَيْن " يُراد بذلك تراخي المدّة (١٢) أما عند ابن منظور (ت٧١١هـ) هو أسم لقليل الوقت وكثيرهُ، وفي المحكم: الزَّمَنُ والزَّمانُ العصر والجمع أزْمُن وأزمان وأزْمِنة، وأزمن الشيءُ: طال عليه الزَّمان والاسم من ذلك الزَّمن والزّمنة، وأزْمن بالمكان، أقام به زماناً وعاملهُ مُزامنة وزماناً من الزَّمن (١٣)

أما الزمن في الاصطلاح فقد اختلف المفكرون في إعطاء تعريفٍ له بحسب السياق الفلسفي أو الأدبي، فمثلاً عرفّ الطبري (ت٣١٠هـ) الزمن على أنه ساعات الليل والنهار، وقد يقال للطويل من المدة والقصير

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

منها فمثلاً يقول العرب: أتيتك أزمان الحجاج أمير، فيجمعون الزمان ويريدون بذلك أن يجعلوا كل وقت من أوقات إمارته زماناً من الأزمنة (١٤)

أما الخوارزمي (ت٣٨٧هـ) عبر عن الزمن بأنه مدة تعدها الحركة مثل حركة الأفلاك غيرها من المتحركات (١٥) أما الزمن عند الجرجاني (ت ٨١٦هـ) يمثل مقدار حركة الفلك الاطلس عند الحكماء، وعند المتكلمين عبارة عن متجدّد معلوم يُقدّر به متجدّد موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإنّ طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام (١٦) أما عند ابن سينا (ت٤٢٧هـ) فيمثل مقدار الحركة والتغير والتجدد قائم على أجزاء وهو الماضي والحاضر والمستقبل (١٧) أما الزمن من حيث الأدب فيمثل الزمن الإنساني الذي يأتي معبراً عن التجارب الإنسانية والشعورية الخاصة للشاعر، حيث يكون الزمن فيه جزء من الخلفية الغامضة للخبرة (١٨) وبهذا فالزمن في نصوص الشاب الظريف تمثل بعداً نفسياً ذاتياً، حيث نراه يصور لحظاته ومواقفه بانفعالات تكوّن الصورة الذاتية وهي نابعة من وجدان الشاعر ويجسد فيها لحظاته المشحونة بالألم حيناً وباللذة والحنين أحياناً أخرى.

فقد ارتبط الزمن بالذات؛ لأن الزمن لا وجود له إلا إذا كان في النفس تأثر مستمر، أي يقيس ما هو موجود ومتطبع في الذاكرة وبما تتركه الأشياء المارة علينا وتؤثر بدورها على الشعور، فالزمان لا يقوم إلا بالنفس، وهذا النوع من الزمن أسماه أحمد بدوي بالزمان الوجودي (١٩) ونلاحظ أيضاً في الزمن النفسي عند الشاعر بأنه متحول وغير مستقر تحت إطار ثابت؛ لأنه يعكس حالة شعورية أما مضطربة (متوترة) وأما مستقرة وهذا بحد ذاته تكثيف للمعنى وتعمق في دلالة الصورة لتحاكي العمق الإنساني والروحي معاً.

فالزمن في التجربة الإنسانية ديمومة واستمرار والبداية فيه لا تنفصل عن النهاية (٢٠) وهذه التجربة توضح بأن الشاعر رهين الماضي فهو محاصر فيه إحياء له سواء كان ذلك مفاخراً أو معاتباً أو شاكياً، من نحو ما يقول وهو يشتكي سواد عيشه:

عجل الزمان في شرخ الصبّا بتشتت القُرناء والقُرباء

وسواد عيشي لم يدع لي لذّة افتضّها باللّمة السوداء (٢١)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فمفهوم الزمن عند الشاعر قد يكون شخصيًا، حيويًا، إي أنه زمن لا يُقاس بالدقائق والثواني وانما يُقاس بعمق التجربة وشدة الإحساس باللحظة..

المحور الثالث: تجليات الزمن ومفرداته في نصوص الشاب الظريف (رؤية تطبيقية)

لقد عدّ الزمن عنصراً مميزاً يتداخل مع بنية النص ودلالته، حيث برزت مفردات الزمن بصورة واضحة ومتنوعة في شعر التلمساني وهذا لا يأتي من فراغ وإنما عن وعي الشاعر واحساسه الكامل بقيمة الزمن وابعاده التي تساعد في بناء المعنى داخل النص ، فقد جاء التوظيف الزمني في شعره ليعطي قيمة للنص ويضمن له الديمومة والاستمرار، فضلاً عن كشف ابعاده الجمالية والنفسية والاجتماعية ، فلم يمثل الزمن وحضوره في النص كبعد ثابت ، وإنما كبعد فاعل يستثمره الشاعر لإيصال دلالات نفسية واجتماعية ويتجلى ذلك من خلال التمثّل الكثيف بالمفردات الزمنية داخل شعره، ففي هذا المحور سنقف على دراسة مفردات الزمن في شعر التلمساني من خلال بعدين أساسيين هما:

1) الزمن وعلاقته بالممدوح:

لا ينفك التلمساني من اسباغ مفردات زمنية عديدة على الممدوح، فقد جاء توظيفه لألفاظ الزمن في خدمة الممدوح؛ وذلك تعظيماً لمكانته ولغاية التقرب منه، فهو يرى من الممدوح اسطورة؛ نتيجة ما يتمتع به من القوة والعزم والنعمة، فهو يرسم صورة مثالية للممدوح تعطي هذه الصور رموزاً زمنية إيجابية متمثلة بالعطاء والكرم والجود الذي يتحلى به فمن نحو ما يقول مادحاً:

يا راقد الّطرف ما للّطرف اغفاءُ حدّثْ بذاك فما في الحب إخفاء

إن اللّيالي والأيام من غزلي في الحسن والحبّ أبناء وأنباء

وصفوة الدّهر بحر والصّبا سفن وللخلاعة إرساء واسراء

كأن عصر الصبّا من بعد فرقتكم عصر التّصابي به للّهو ابطاء

عليك مّني سلام ما سرت سحراً نسيمة عطرها في الكون درّاء (٢٢)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

إذ نرى في النص بأن الشاعر وظف مفردات الزمن لغاية الممدوح، فتاره تراه يجعل من الليالي والأيام نسبة غزله للأبناء والحب وأنباء لهما وفي أبيات أخرى نراه يشير للزمن من زاوية مغايرة فيصف الحنين والشوق إلى عصر التصابي واللهو، ويستعمل الشاعر في النص إشارات أخرى للزمن من خلال إدخال تراكيب نحوية في جملة (ما سرت سحراً) حيث ان (ما) هنا تعرف بالاستغراقية، فهي الأداة التي تمكن الشاعر من أن يستغرق زمناً أبدياً فهو يريد أن يقول هنا بان السلام أبدي.

ومن نحو ما يقول مادحاً حسام الدين الحنفي الرازي قاضي القضاة:

من معشر قد سموا وقد كرموا فعلاً وطابوا أصلاً إذا انتسبوا

إن أظلم الدهر ضاء حسنهم وان امّرت أيّامنا عذبوا

من فضّة عرضُهم ونشرُهُم يعطّر الكون أية ذهبوا

يا ضاحكاً والحياة عابسة وثابتاً والجبال تضطرب

الدهر دوحاً وأنت فيه قضي ب البان غصناً وغيرك الحطب

خذ مدحاً لم أرد بها منحاً حسبي إني اليك انتسب (٢٣)

فقد اضاف الشاعر المحاسن على ممدوحهِ من خلال توظيفه لمفردات الزمن(الدهر–الحياة–الكون)، حيث كان الشاعر بارعاً غاية البراعة في استعمال هذا الأسلوب فهو يجعل من حُسن ممدوحه بمثابة الضوء للدهر ويجعله أيضاً بمثابة العذوبة بمرارة الأيام، وهذه قدره الشاعر على الاختزال؛ لأنه استطاع ان يضم كل هذه المعاني والاستعارات البلاغية في بيت واحد الا وهو (ان أظلم الدهر..) وهذا غاية الحرفة في كتابة الشعر، ثم نرى الشاعر يجعل من ممدوحه ظاهرة من الأمل والسعادة في مواجهة الزمن الذي تحول في منظور الشاعر إلى عبوس وحزن واضطراب.

ومن قوله مادحاً القاضي محمد بن يعقوب:

واسأل نسيماً ثنت أعطافنا سحراً من أين جاءت ففيها نفحــة الطيب

ظننت أنّ شبابي فيك يشفـع لي وإنّ جود يدي يقضي بتقريبــي

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

شيئان قد أمنا من ثالث لــهما وجدي عليك واحسان ابن يعقوب

إذا سطا قلت يا اسد العرين قفي وان بدا قلت يا شمس الضحى غيبي

صمّ المسائل في يوم الجدال له أمضى وانفذ من صمّ الانابيــب

بك انتصرت على الايّام مقتدراً فبتن منّي بجدّ جدّ مرهــوب

مُلئت بالدهر علماً وهو يملأ بي جهلاً ويحسب منّي غير محسـوب

وليت إني لم أدفع إلى زمـن ألقى الأسود به طوع الأرانيب

والدهر ليس بمأمون على بشر يديره بين تنعيم وتعذيــب

وليس تلقى الليّالي غير منصرف وليس ترمى المعالي غير مخطوب (٢٤)

فالشاعر يطلب من ممدوحه حسن التقرب مخاطباً بذلك النسيم ان يمر بجوار ممدوحه مشيراً بذلك إلى وقت السحر من الفجر الذي تمر به النسمات العليلة ، ثم يردف مخاطباً الممدوح بمفردات الزمن (السحر– الليالي–الأيام –الدهر –الشباب–الضحى) وذلك للتقرب منه والحصول على اهتمامه ، فقد اظهر الزمن توازن الشاعر بالتعامل مع المواقف فهو يصفه بالشجاعة والجود ، فضلاً عن ذلك نراه يتحدث عن تجاربه من الحياة في زمن الممدوح الذي كان ما يواجه احياناً من سوء فهم الاخرين ، وحذر من الدهر ، فتراه يمزج بين وصف ممدوحه وبين تأملاته ومواقفه من الزمن ، فقد استطاع الشاعر بمقدرة ابداعية ان يجعل من الزمن شفيعاً له لدى ممدوحه ، فقد استعار استعارة بلاغية شكلت حالة من الانتصار على الزمن من خلال قوله : (ظننت ان شبابي — يا شمس الضحى –بك انتصرت على الأيام).

ومن نحو قوله مادحاً الملك المنصور محمد بن عثمان الايوبي:

أأخاف صرف الدهر أم حدثانه والدهر للمنصور بعض عبيده

وأرى الحياة لذيذة بحياتهِ وأرى الوجود مشرّفاً بوجوده

وجلست بين يدي أجل زمانه قدراً وواحد عصره وفريده

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فلو انني خيرت من دهري ألمنى لاخترت طول بقائه وخلوده

يا آل أيوب جزيتم صالحاً عن محسن مدح الملوك مجيده

ونعمتُمُ ما افترّ عن ثغر الضحى صبح وما فضح الدجى بعموده

أما الزمان فأنت درّة عِقْدِهِ وسنان صعدته وبيت قصيده (٢٥)

إن الابيات غنية بوجود مفردات الزمن في النص (الدهر–الحياة–الوجود–الضحى–الدجى– الخلود) التي اعطت بدورها اشارات واضحة على ما عهده الشاعر في زمن الممدوح من لذة وبهاء ، حيث يرى الوجود فيه شرفاً وأن الدهر بعض من عبيده ؛ وذلك نتيجة ما ساد ملكه من العز والإباء والكرم والجود ووصف عصره أيضاً بالانفراد والقوة والقدرة حتى راح يسترسل بالزمن واصفاً انه لو خيروه من الدهر لاختار زمانه ،إذ تمنى خلوده فيه ، وأردف واصفاً زمان المنصور كالعِقد الذي يلبس وكسنان الرمح ، فاتت درة عقد الزمان وسنان الرمح بيت القصيد في الشعر.

وآثر الشاعر الزمن في خدمة الممدوح أيضاً من نحو ما يقول مادحاً أحد الوزراء ويعاتبه:

أملٌ سعيتُ اجدّ في اتمامه فعلام حل الدهر عقد نظامه

وإلى متى يسعى الزمان لنقض ما اسعى بكل الجهد في ابرامه

دام الوزير ممتعاً بخلوده فدوام تشييد العُلى بدوامه

والشمس من قسماته والجود في تقسيمه والبر في إقسامه

والله من حفظائه والنصر من اعوانه والدهر من خدامه

ما بال حظي كلما قدمته دفعته ايامي إلى احجامه

أأذل في أيام من قد كان لي ظنّ بنيل العز في أيامه

أيكون مثلي في الهوى متظلماً يشكو الزمان وانت من حكامه

تعس الشباب فما سعدت بشرخه ولقد شقيت بظلمه وظلامه

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أمكلفني ذنب الزمان وليس لي ذنب يؤاخذني على اجرامه (٢٧)

فقد وظف الشاعر الزمن لغاية مدحه من خلال قوله (فعلام حلّ الدهر عقد نظامه) حيث وضع الزمن في صورة استعارية يعاتب بها الزمن ويلقي بظلال اللوم عليه ، ويعاتب الدهر (إلى متى يسعى الزمان) نحو التساؤل والاستفهام عن سعي الزمن في تفضل ما يسعى إلى ابرامه ، إذ لا ينفك الشاعر على مقدار قصيدته عن الزمن بان يخاطب الممدوح أأذل في أيام كنت فيه انال العز وهي من ايامك وتارة يعاتب (أيكون مثلي في الهوى) وتارة يتعس الشباب الذي فيه عاش من الظلم بالرغم من صغر سنه، نحو ما يقول : (تعس الشباب) فهو بالعتاب وبالمدح وصف الزمان .

وبهذا فقد تواردت مفردات الزمن المتنوعة في شعر الشاب الظريف لخدمة غرضه للمدح، ويكف القول انه استعان بفكرة الزمن بمفهومها العام، أي إنه لم يذكر الزمن بطريقة هامشية بل جعل من فكرة الزمن محوراً لقصيدته التي استطاعت هي بدورها في خدمة غرضه، ولا بدّ لنا بالإشارة على أن تداخل مفردات الزمن في نصوص التلمساني التي جاءت في خدمة الممدوح قد ولدّت انسجاماً فكرياً ومن رسم بعداً زمنياً يضمن للغرض الديمومة والاستمرار.

2) الزمن النفسي وتجليه ب(الليل):

لقد عدَّ الليل من أكثر الألفاظ الزمنية إرتباطاً بالحالة النفسية للشاعر؛ لأنه يمثل الوقت الذي يكشف فيه الشاعر عن حالته الوجدانية التي غالباً ما ترتبط بالحب والشوق والحنين أو القلق والاضطراب والخوف، فهو زمنٌ تتحرك فيه الخلجات وتنبض فيه المشاعر والأحاسيس، فنراه في شعره يخاطب الليل كأنه شخص يتحدث إليه ويعبر له عن عمّا يقاسيه وعما يشعر به، فهو عنده كالشخص المنصت والمستمع الجيد الذي لا يكل ولا يمل يعبر له عمّا يروق له وعمّا يعانيه.

فالليل عند الشاعر طويل كما هي عادة الشعراء الآخرين، فهو لن ينقضي، والحالة النفسية عند الشاعر هي المسؤولة من هذه الظاهرة، فالليل تجتمع فيه الأحزان وتتباطأ فيه الدقائق فهو محمل بالمرارة والأرق يعاني فيه الشاعر من الوحدة والقلق (٢٧)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فلابدّ لنا من الإشارة كبداية تطرقنا عن الليل أن نبين بأن الشاعر قد ربط المفهوم بالسهر والسهاد فهاتان اللفظتان فيهما إشارة إلى الليل الطويل الذي لا ينتهي بيسر وذلك ارتباطاً لحال الشاعر، فنراه يصف ليله بأنه مثقل بالهموم والاحزان وبأنه لا ينقضي من نحو ما يقول:

إن دام هذا التجني منك والغضب فلا تسل عن فؤادي كيف يلتهبُ

يا شعره كم دموع فيك انثرها وهكذا اللّيل فيه تظهر الشهب

تراه عيني فتخفيه مدامعها كأنهُ حين يبدو حين يحتجب

يا ليل من لي بصبح بت أرقبه تالله قد فنيت من دونه الحِقبُ

إن الذين فؤادي في الهوى نهبوا لناظري سهادي في الدجى وهبوا (٢٨)

فنلاحظ الشاعر يصف سواد شعر محبوبته بالليل سواداً ومن حيث البياض لدموعه كالشهب بياضاً من نحو قوله (يا شعره كم دموع فيك)، فقد جاء الزمن لغاية تشبيهية جميلة مردفاً بذلك وصفه لهذا الليل بأنه طويل كأنما مرت عليه حقب طويلة فلفظة الحقب كالدهر ويقصد بها السنين (٢٩) فهذا الليل لم يطلع صباحه من خلال ذكر لفظة السهاد المرتبط بالليل فهو زمن يأتي بعد الفجر وهو خلاف النوم (٣٠) فصورة الليل وما يقاسيه الشاعر فيه من بعد المحبوبة قد رسم جانبه النفسي وعمّا يعانيه من شوق وحنين.

وقال أيضاً واصفاً حالتهُ:

كم ليلةٍ قضّيتها متسهّداً والدمع يجرح مقلتي مسكوبه

والنجم تقرب من لقاك مناله عندي وأبعد من رضاك مغيبه

هي مقلة سهم الفراق يصيبها ويسحّ وابل دمعها فيصوبه (٣١)

فيشير منشأ النص في هذه الابيات إلى عدد الليالي الطويلة التي قضاها وهو يعاني البعد والجفاء وما يرافق هذه الليالي من (السهر والسهاد) فالدمع يكاد يجرح مقلتيه عند انسكابها، حيث يصفها بالمطر الذي يصوب صوباً مشيراً بذلك إلى الفرات تشبيهاً، فهذا تصوير لنفسية الشاعر بما يعتليه من حزن ويأس من فراق محبوبه.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومن نحو ما يقول أيضاً:

ولما أن تلاقينا وأبدى لنا شفق الضحى كفّاً خضيباً

ملأت يديه من ياقوت دمعي وكنت محقت لؤلؤه نحيبا

أيا قمراً أعد عندي طلوعاً وإلا فاتخذ عندي مغيبا

ويا ليل الذّوائب طلت فأقصر وكن من تحت أخمصه قريباً (٣٢)

فالشاعر في بداية الامر يصف مرحلة غضةً حيث الوقت قد راق وطاب له من نحو(ما تلاقينا) وهذه إشارة زمنية للعلاقة في بدايتها ، فاللقاء يعني البداية ، ويتبع بقوله (وابدى لنا شفق الضحى) فهو هنا يعقد ربطاً بين أول لقاء المحبوبة وبين أول وقت من النهار وهو شفق الضحى ، وأشار من طرف خفي إلى طيب عيشه (كفاً خضيباً) وتتابعت أبيات القصيدة في ذهنية الشاعر وهو يسير مع المتلقي بتسلسل زمني دقيق مع ما يرافقه من تشبيهات واستعانة بألفاظ الزمن من نحو ما ذكرنا آنفاً ربطه بين أول النهار وأول لقاء ، ونلحظ أيضاً كيف أن الشاعر يضع خاتمة اليمة لحبه حيث ربطه بالليل بما يعانيه من هموم وأحزان وبما يجلبه أيضاً من أرق وسهاد ، فهو يخاطب الليل والقمر شاكياً عن آلامه وفقده للمحبوب من نحو قوله (أيا قمراً — يا ليل).

وقال أيضاً راسماً حزنه ومخاطباً لياليه:

ليت اللّيالي التي أولت بشاشتها ان لم تُدم هبه اللّذاب لم تهب

ما بالها غلّبت حزني على فرحي والقت الحد بين النجح واللّطلب (٣٣)

ومن نحو ما قاله أيضاً واصفاً حالته التي ارتبطت بالسهاد والسهر:

صاحي الجوانح لست منه بصاحي سلب الجسوم وهم بالأرواح

بفؤادي المرتاح ام بسهادي ال فضّاح ام بودادي الوضّاح

لا ترقدَنْ عن ساهر في ليلة مذ غاب وجهك لم يفز بصباح (٣٤)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فشاعرنا يرفق غياب محبوبته، حيث يصف فراقها بليله الطويل الذي لم ينقضي صباحه، وواصفاً حالته بما يقاسيه هذا الفراق من حالة من السهاد والارق فلا نوم ولا راحة إلا بوجودها، فقد استعمل الشاعر لفظة الرقود إشارة إلى عدم النوم.

ومن نحو ما يقول:

رعى الله ليلاً زارني فيه والدجى يكتّمه لولا تضوْع ندْه

سأسري وجنح اللّيل يسطو ظلامه وأسعى وقلب الشمس يلفح وَقْده (٣٥)

ففي النصوص وظف الشاعر الليل للتعبير عن حالته المحملة بالهموم لدرجة انه جعل من الليل شخصاً يزوره ويحادثه وبانه كاتم لإسراره، لولا دموعه هي التي كشفت حالته وفضحت ما يقاسيه، فالشاعر ملازم الظلمة والليل من خلال واصفاً سيره (سأسري وجنح الليل).

ومن نحو ما يقول واصفاً ليله الطويل الذي لا ينقضي:

تالله يا ليلي الطويل لقد قصّرت نومي فلم يعد يفد

أين اللّيالي وأنت عندي قد حواك طرفي وأنت طوع يدي

واليوم لي أدمع تسّرب في ال خدّ كورقٍ في كفّ منتقد (٣٦)

فالشاعر يصف حالته وهو يخاطب محبوبته بسؤاله أين هي الليالي والسمر التي كنا بها معاً، اما اليوم فقد تسّربت دموعي كورق النقد الفضية التي ينقدها النقاد، فهذه الصورة التشبيهية التي وظفها الشاعر وما داخلها من الفاظ زمانية قد رسمت بعداً نفسياً عميقاً لحالة المرارة والحزن التي وافت الشاعر من البعد والفراق.

ومن قوله واصفاً حالته عمّا جنى عليه الليل من الهموم:

ركائب سهدي من قراها المدامع هداها لهيب أضرمته الأضالعُ

أبَيتُ أبِيتُ اللّيل إلا بلوعة أقضّت بها وجداً عليّ المضاجع

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

كأن الدجى يبكي لحالي رحمة فتلك النّجوم الزّاهرات مدامع (٣٧)

لقد عبرّ الشاعر عن حالته النفسية عمّا يعانيه من اللوعة والألم من بعد المحبوب، فهو جو مشحون بالحزن والسهاد والوجد، حيث رسم الشاعر عالماً خاصاً به جاعلاً الليل يبكي على حاله متعطفاً، فهو مضطرب مثقلاً بالهموم يجافيه الارق نتيجة بعد الاحباب والرفاق عنه.

وبهذا فقد مثلَّ الليل أكثر من كونه زمناً عادياً عند الشاب الظريف، فهو تجسيد لمشاعره وحالته الوجدانية التي جاءت مشحونة بالحنين والشوق والقلق والحزن، فقد وثق من خلال زمن الليل تجربته الشخصية الذاتية مستثمراً فيه أعمق صور الانكسار والعزلة، حيث كشف الشاعر من خلال تعبيره عن مفردات الزمان وتداخلها في نصوصه عن مقدرة ووعي شامل بالزمن، حتى غدا الزمن النفسي عنده كبعد إنساني يكشف عن تجاربه الشعرية ويجسد تقلباته النفسية بكل دقة ووضوح مما جعل النصوص منسوجة بعناية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الخاتمة:

ختاما نجد أن الزمن لم يكن مجرد إطار زمني يقتصر على تحديد لحظة أو ظرف في شعر الشاب الظريف، بل كان مكون بنيوي وجوهري ارتبط تمامًا بتجربته الشعورية والوجدانية. إذ انعكست مفردات الزمن في شعره نفسيًا ، اعتبر فيه الزمن حيا عينيًا على وتيرة حالاته النفسية الداخلية مثل القلق ، الحزن ، السهاد ، والحنين. وجاء الزمن حيًا نابضًا في شعر الشاب الظريف بتوترات وآمال وانكسارات. إضافة إلى فهمنا الواضح أن الشاب الظريف لم يكن يستعمل الزمن كسقف بياني بحت أو تزيين بلاغي بل كان يستعمل الزمن كرمز دلالي فعلي يتغير مع حالته وجنس قصائده. وبالمتابعة في قصائده المديح بالشهر وقد جاء الزمن واهتمام كبير يركز في تضخيم مكانته وتكبير صوره. إذ كان حاضرا بشكل قوي في مدارات المجد والعطا والتفرد الزمني. أما الليل، برز كأقصى حالاته الوجدانية ، فكان مرآة للعزلة والحرمان. وموضعًا للشكوى والتعبير عن عمق المعاناة. لقد بينت دراسة الزمن في شعر الشاب الظريف عن وعي شعري فريد، وقدرة على تحويل المفهوم الزمني إلى فضاء تعبيري ثري، يعكس التفاعل بين التجربة الذاتية من جهة والواقع الخارجي من جهة أخرى مما يمنح شعره طابعًا إنسانيًا خالدًا يبقى متجددا ومؤثرا في سياق الأدب العربي.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المصادر والمراجع:

1. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصّفدي ت (٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنأووط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ١٠٩/٣

2. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري، ت (١٠٨٩ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩١م، ٧٠٨/٧

3. ينظر: النجوم الزاهرة ففي ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغْري بروي الأتابكي ت (٨٧٤ هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ٣٢١/٧

4. ينظر: الوافي بالوفيات، ٣/ ١٠٩

5. ينظر: النجوم الزاهرة، ٣٢١/٧

6. ينظر: المفصل في تاريخ الأدب العربي، في العصور القديمة والوسيطة والحديثة، أحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري وأحمد ضيف، ضبطهُ وعلق عليه الدكتور حسان حلاق، دار إحياء العلوم، ط١، بيروت، ١٩٩٤ م، ص :٤٥٦

7. ينظر: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الشام، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، مصر ،١٩٩٠م، ص:٢١١

8. ينظر: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، محمود رزق سليم، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧م، ص:١٧

9. ينظر: الوافي بالوفيات، ١١٤/٣.

10. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (١٧٠هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣ م، ١٩٥/٢

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

11. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي مُنير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧، ص: ٨٢٨

12. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ٢٢/٣

13. ينظر: معجم لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٩م، ٨٦ /٦

14. ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٦٧م، ٩/١

15. مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م، ص: ١٥٩

16. معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، ٢٠١٢م، ص:٩٩

17. ينظر: عيون الحكمة، ابن سينا، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ودار القلم، ط٢، الكويت — القاهرة، ١٩٨٠م، ص: ٢٨

18. ينظر: الزمن في شعر أدونيس قصيدة الوقت نموذجاً، مريم جبر فريحات، المجلة العربية للآداب، م/٣، ع/١، ٢٠٠٦م، ص:٥٢

19. ينظر: الزمان الوجودي , عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص: ٩٧-٩٨-١٤٨

20. الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م، ص: ١٧٦

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

21. ديوان الشاب الظريف، شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، النجف، ١٩٦٧م، ص: ٢٨

22. ينظر: ديوان الشاب الظريف، ص :٢٥-٢٧

23. ينظر: الديوان، ص: ٣٣-٣٥

24. ينظر: الديوان، ص:٦١-٦٦

25. ينظر: الديوان، ص:١٠٨-١١١

26. ينظر: الديوان، ص: ٢٦٣-٢٦٥

27. ينظر: الزمن في الشعر الجاهلي، عبد العزيز محمد موسى طشطوش، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٣م، ص:١٤٣

28. ينظر: ديوان الشاب الظريف، ص:٣٨-٣٩

29. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٥٣/٣

30. ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ١٠٨/٣

31. ينظر: ديوان الشاب الظريف، ص: ٤٣

32. ينظر: الديوان، ص: ٤٩-٥٠

33. ينظر: الديوان، ص: ٥٨

34. ينظر: الديوان، ص: ٨٥-٨٦

35. ينظر: الديوان، ص: ٩٥-٩٦

36. ينظر: الديوان، ص: ١٠١

37. ينظر: الديوان، ص: ١٦٥